

« الاعلام والثقافة ودورها في تنمية المجتمع »

للاستاذ محمد التركي التاجوري

بسم الله الرحمن الرحيم

في طريق تتفق فيه الملامح والدروب وتتنوع فيه الصور والمظاهر ذلك ان الاعلام في حقيقته هو الخبر السدى يساق للناس عن طريق الاذاعة او الصحيفة ويتناقله هؤلاء الناس عقب ذلك فيما بينهم ويكون له صداه « والثقافة كذلك بكل ما لها من مضمون تصل للناس عن طريق الاذاعة والصحيفة والكتاب ويكون لها صداها فيما بينهم فان لم يكن هذا الوصول عن الطريق السليم الذي يتوخى الصدق وينبثق من الواقع الذي يمثل العصر ويتخذ من الجديد مثله الاعلى الذي ينطلق منه فان اثره في نفوسهم يكون ضعيفا وسوف لا يؤدي الاعلام والثقافة دورها الذي ينبغي ان يقوموا بأدائه حتى تكون مساهمتها في بناء التوعية الاجتماعية اكيده وحتى تركز على اساس الدور الذي يقومان به قواعد الحكم وبناء الامة وامجادها في الحياة والمستقبل الذي ينتظرها .

والاعلام والثقافة يتطلبان في مفهومهما الحديث اجهزة تضطلع بالمسؤوليات وتقوم بكل ما يتعلق بهما من انجاز وما لم يتوفر لهذه الاجهزة العنصر الواعي الذي يحس ويدرك دوره وواجباته الملقاة عليه فانها لن تكون عاملا فعلا في خلق الثقافة والاعلام بقدر ما تكون عاملا للتشويه والمسح وشل الحركة المطلوبة ، فالاجهزة والادارة والاشخاص في الاعلام والثقافة لها الدور الخطير الذي ينبغي ان يكون له الحساب الاول والاخير ومن هنا يجب ان تسلط اضواء الدارسين على

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه ومن دعا بدعوته الى يوم الدين . .

وبعد . . فالحديث عن « الاعلام والثقافة ودورها في تنمية المجتمع » يتطلب ان تكون المامتنا بمفهوم الاعلام ومفهوم الثقافة المامة تامة ، ويتطلب كذلك ان يكون وعينا لجميع مفاهيم الحياة قائما على الواقع المعاشي الذي يحياه المجتمع حتى تكون النظرة الصحيحة لتتبع النهضة في هذا المجتمع قائمة على الاسس الايجابية التي تواكب التقدم وتتفق مع معطيات العصر الذي اصبح من تضايها المسلمة التي لا تحتل الجدل والمناقشة ان كل شيء يجب ان يجند لخدمة المجتمع وان يقوم على العلم وان يسير في مآهات الخيال والاحلام الوردية التي يعيش اصحابها في ابراجهم العاجية اصبح بعيدا عن النظر الجاد في حياة الناس وخاصة اذا كان غير معزز بالنظرة العلمية الجادة التي تستقصى الحقائق وتمحص النتائج التي تنشا عنها . .

ولذلك كان الاعلام الحديث والثقافة المعاصرة يسيران جنباً الى جنب مع احدث النظريات والآراء العلمية لانهما يحملان مفهومهما واسما ويقدمان للمجتمع عطاء حيا يلهمه من خلال الواقع الذي يتناوله من هذا المطاء « وفي هذا الاطار نجد الاعلام والثقافة يسيران

هذه الجوانب الحية الدقيقة التي بدونها وبدون توفير المناخ المناسب لها لا تتحقق الثقافة ولا يقوم الاعلام وينبغي ان يراعى في الاجهزة طبيعة الدور الذي يتحتم ان تقدمه وان تكون على أحدث مستوى معاصر مسن حيث وضعها الهيكل وتصميمها ووحدتها واحتواؤها في اطار واحد حتى تستطيع التحرك وتستطيع في كل لحظة الاتصال المباشر والتنسيق الدقيق بين فروعها التي تعد بالنسبة لها الشرايين التي تحيي عليها وتمدها بالماء والتدفق بالحياة والحركة . . .

واما الإدارة وما لها من آثار بالغة الخطورة في هذين المجالين فان الحديث عن أهميتها من ناحية القول ومن البداهة بالدرجة التي لا يستطيع أبسط الناس وأهمهم تقديرا أن ينكر هذا الدور أو يتشكك فيه والإدارة لا تعنى في هذا الصدد التقيد الدقيق بالروتين والمكثبة الجامدة التي تسير في الاطار التقليدى للإدارة التقليدية وانما تعنى التنظيم والعنصر البشرى الذى يحركها وينطلق بها في شجاعة وإيمان نحو الاهداف المرسومة ونحو الغايات المبتغاة منها ولا يتانى لها ذلك ما لم تتسم الامتكار التي تحركها بطابع الابتكار والجد والحزم المتزوج بالروح الودية التي يحس منها جميع العاملين في أركانها بالرابعة المتينة التي تشدهم نحو بعضهم وتجعل منهم أسرة واحدة همها الوحيد ما تقدمه لاجتماعها الذي تعيش فيه وغايتها من وراء العمل هو نجاح الدور الذي يؤكد الغاية من ورائها ، ومن الضروري جدا أن تعطى لهذه الإدارة الصلاحيات الكاملة للتحرك والتصرف بحيث تكون لها شخصيتها وطابعها وتبعده عن المركزية التي تشدها الى الوراء، ومن هذا الجانب نرى الوضع الإدارى مختلفا تماما في مجالات الاعلام والثقافة عن مجالات الحياة الأخرى فهو في المجالات الأخرى كجمال الخدمات وما سلبها يمكن أن يسير بالطريقة الكلاسيكية المألوفة ، ويمكن أن يتقيد بالمركزية التي تحتم المراعاة الدقيقة للتسلسل الإدارى وسلطه في حين انها في هذين المجالين اذا طبقت فيها هذه النظرية كانت الإدارة عاملا كبيرا في اعاقتهما من الانطلاق والتقدم ومؤثرا من المؤثرات التي تنعكس فيها هذه المجالات على غير حقيقتها وتصبح الصورة غير الواقع الذي ينبغي ان نتقله ، وبالتالي تعجز الروح الاعلامية والثقافية عن التطور والنمو وهو الامر الذى يجب ان يكون بعيدا جدا عن الثقافة والاعلام باعتبارهما

المرآة التي تعكس وجه الحياة للامة ونشاطها وتقدمها وعطائها الذى تجسود به لاجتماعها وعصرها وخدمة الانسان والنظرة الشاملة للأشخاص الذين يواجهون الاعلام والثقافة ويحركون الجوانب الادارية فيهما ينبغي ان يكون محور تقييمها قائما على أهمية هؤلاء الأشخاص ووزنهم من حيث سعة الافق والثراء الثقافى والفكرى الذى يجعل لأرائهم ونظرياتهم الأثر البالغ في المحيط الذى يعيشون فيه وفي الراى العام حتى يكون للآراء التي يثيرونها في قضايا المجتمع وكماح الحياة ذلك الصدى العميق الذى يجد الاحساس به والتجاوب معه مثل ما نشاهده ونقرؤه لدى أولئك المفكرين من رجال الاعلام ورجال الثقافة الذين يدلون بأرائهم في مشاكل الحياة وملابساتها وفي قضايا التححرر التي يعمل لها المؤمنون بالحرية والمقدسون لها فيكون لها التأثير البالغ والتجاوب الكبير في نفوس الأمراد والجماعات ويسير على هديها الشباب والعاملون في مجال الحرية وكل ما يتصل بها من قريب أو من بعيد .

ولا نستطيع ان نفضل الدور الكبير الذى تقدمه الثقافة لبناء الحياة الاجتماعية بصفة عامة فهي التي تشر الطريق لكل فرد من أفراد المجتمع وتجعل مناخ الحياة في كل بيئة من بيئات المجتمع مهيئا للتجديد ومستعدا لقبول الآراء الإصلاحية التي تهدف الى الرفع من مستوى الحياة في كل مجتمع انساني يعمل افراده من أجل بناء المستقبل الزاهر والحياة الفاضلة التي تقوم على العدل والأخاء ونشر المحبة والتسامح .

والرجوع الى التاريخ واستقصاء الحقائق والعبارة منه يدلنا على مدى ماللتقافة في جميع المراحل التي مر بها الانسان في حياته من آثار بعيدة وهادفة وبناءة ، ذلك ان المجتمع الذى استطاع ان يأخذ من الثقافة حظا وافرا استطاع أيضا ان يكتب لنفسه الخلود ولا مجاده الذكر الرفيع الذى أصبح به مثلا يحتذى وليس ببعيد عنا ما يحكيه التاريخ عن الحضارة اليونانية والحضارة الفارسية والحضارة الاسلامية العربية التي جعلت المعرفة شعارها واساسها الذى تقوم عليه حتى استطاعت ان تسجل بكل ماحتويه من مثل ومبادئ وقيم وامجاد كل ذلك الأثر الذى مازال دويه يتجاوب حتى الان وما زالت الشهضة الحديثة في العالم تستلهم أفكارها منها كي تجد التفتح والمرونة والعمل الجاد الدؤوب الذى كانت الحضارة الاسلامية العربية متمسكة

به وخاصة ذلك الايمان العميق بمفهوم الانسان واحترامه وتقديره وتسخير دروب الحياة وظروفها امامه حتى يعمل ويبنى وحتى يكون التراث الانساني مصدر السعادة لجميع البشر على وجه البسيطة وحتى تكون المعرفة منبعاً للإلهام الذي يدفع بالفكر الى بناء هذا الانسان الذي يعد الثروة الحقيقية نكل ما في هذا الوجود من قيم ومفاهيم .

وحين نتأمل بعمق الالوان الثقافية التي كان لها دورها الفعال في جميع الحضارات التي سادت في الانسان وتعميق مفهومه والقيام بكل ما يتطلبه هذا المفهوم من واجب كى يستقيم للحياة لونها الذى تتمثل فيه في هذا العصر او ذلك فالانسان هو الاساس الذى كان وما زال موضوع الحضارة ومصدرها وبدون العمل من اجله والتأمل فيه لا يكون للنشاط الحضارى والثقافى والاعلامى اى دور مهما بذل فيه من جهود ، ومهما اوتى له من القوايلب المادية التي لا ترى في الحياة الا ذلك اللون الذى ينظر للاشياء من خلال ماتلقية من ظلال باهتة .

والتأمل في هذا الانسان والعمل من اجله يتطلب ان تكون النظرة للحياة التي يحيها ذات جانبين احدهما يقوم على واقع المجتمع الذى يعيش فيه هذا الانسان وثانيهما علاقة هذا المجتمع بالرأى العام العالمى ذلك ان واقع المجتمع يعطينا المدى الذى نستطيع به ان نكيف العطاء الذى يقدم هذا الانسان والصدق الذى يلتزم به في هذا العطاء حتى يصل الى الامل والطموح التي يصبو اليها لتحقيق اهدافه في هذه الحياة والوجود وهذا هو المفتاح الذى من خلاله ندرك الاسس التي ينبغى ان تعالج بها جوانب هذا المجتمع ومايسوده من اعراض وعادات وتقاليد ومايسيطر عليه من افكار .

واما علاقة هذا المجتمع بالرأى العام العالمى فانها تعطينا الانطباع الحقيقى لهذا الانسان عن احساسه ودوره في المجتمع الانساني الكبير الذى يتعدى حدود المكان والزمان الذى يعيشه وهو يتطوع مزاحله في الحياة التي لاتقف به في جانب واحد من متاهاتها المتعددة التي تتشابه فيها الدروب والمسالك وتتشابه فيها الاحلام والامل .

ومن هذه النظرة الشاملة للانسان في اطاره العام

نجد انفسنا امام قضية لا يفر من النظر لها وهي قضية الربط بين واقع هذا الانسان بماضيه اذ لابد للواقع من حاضر ولا يبد لهذا الماضى من اساس ينطلق منه او بعبارة اشمل لابد للجديد من قديم ولا بد لهذا القديم من واقع ينطلق منه والاقتصر على الجديد وحده لا يكتفى لخلق النهضة وكذلك الامر بالنسبة للقديم فان التغنى به وحده لا يفيد في مجال البناء والعمل الجاد واما التوفيق وايجاد الصلة بين الجديد والقديم فهو الحل الوحيد الذى يمكن الدارسين من تقديم الراء السديدة التي تسهم في مجالات الانسان الايجابية التي ينبغى ان تكون موضع الاهتمام البالغ منهم حتى يقوم تفكيرهم في المناخ الخصب الذى يهد السبل لأولئك العاملين بصدق من اجل الانسان ودراسته ومن اجل الحياة وشرح مضامينها وما فيها من معالم تقتضى الرجوع الى القديم والجديد وتقتضى ان تؤخذ بكل جهد في سبيل البناء والتقدم وفي سبيل الوصول الى الحياة الفاضلة .

هذا الاعتبار هو الذى نستطيع ان نعبر عنه بالارض الصلبة التي نقف عليها حين نريد الانطلاق الى الغايات والاهداف التي نريدها ونريد ان نطمع بها الحضارة العالمية المعاصرة ومثال ذلك امجادنا وتراثنا العربى بكل ما يحويه من نكر وكنوز في الحكمة والاداب والفنون والتشريع حين نحاول في هذا العصر ان نعمل على نهضة فكرية شاملة سوف نجد ارضنا التي نقف عليها ارضا صلبة فيها من الماضى ما يعطينا قوة الدفع ويبسط امامنا كل حقيقة نتطرق اليها بالبحث والدراسة وخاصة في مجال التقنين العلمى الذى ضرب فيه اسلافنا بسهم وافر جدا مازال التاريخ يذكره بكل فخر واعتزاز وما زالت الدراسات الاكاديمية في ارقى جامعات الدنيا تستلهم منه الزيادة والعطاء ، ولسنا في هذا الصدد في حاجة الى ان نسرد الابتكارات العلمية والصادر التي خلدت للانسان معرفته من قبل اسلافنا ولكننا فقط بمسدد شىء واحد هو كيف نستطيع تعميق الايمان في نفوس المفكرين والعاملين في هذا المجتمع برسالتهم ودورهم الخطير الذى يستطيعون ان يؤدوه في تنمية المجتمع والسو به الى الغايات التي يود الوصول اليها لان هذا الجانب هو الاساس الذى يقوم عليه نهوض المجتمع والامة وتقدمها .

فلا يمكن لاية امة ولاى مجتمع ان يتقدم ما لم يكن الايمان العميق مسيطر على افراده بواجبهم ودورهم في

الحياة وهذا هو السر الذي به استطاعت الأمة العربية أن تفرض وجودها وأن تصل إلى المكاتبة التي وصلت إليها في ميادين الفكر والثقافة وأن ينتقل فيها المجتمع العربي من مجتمع رعوى إلى مجتمع حضارى يطمس الشعوب والأهم ويحكمها في مدة وجيزة لم يعرف التاريخ لها مثيلا فلو لم يكن الإيمان العميق زادها ولو لم يكن هذا الإيمان منصبا على دورها ورسالتها في هذا الوجود لما استطاعت أن تخلد هذا المجد المؤمل ولكانت في عداد الأمم التي عفى عليها التاريخ وما أكثرها ..

ولذلك فإن الجوانب التي تبعث في المجتمع إيمانه المطلق بدينه وعاداته وتقاليده ووزنه في الحياة هي التي يجب أن نسلط عليها الأضواء وهي التي يجب أن تكون هدف الدارسين لحياتنا الاجتماعية حتى نخلق الجيل الواعى بمستقبله وأمته ورسالته وذلك بتشجيعه على الغوص في الدراسات الإسلامية وإتاحة الفرص أمامه في ميادين المعرفة والعلم وأرساء دعائم الأخلاق الفاضلة في النوادي ودور الدراسة وكافة المواقع التي يلتقى فيها حتى يجد المناخ الحى للمثل العليا التي ينبغى أن يكون احساسه بها منبعنا من الواقع الذي يحياه لان تنمية المجتمع في حقيقتها لا تقوم الا على الجيل الذى يتألف منه هذا المجتمع أو ذاك والشباب هو عماد كل جيل وهو عماد الأمة ومستقبلها ولذلك نجد الأمم في كافة أنحاء الأرض تهتم به ونضع الأسس الصحيحة لتربيته تربية صالحة وما المدارس والجامعات ودور الرعاية وغيرها الا تجسيد لهذا الاهتمام وهذه العناية الكبيرة بالشباب الذى ينشأ في البيت والمدرسة والمجتمع بما فيه من وسائل للاعلام والتوعية والربط بين البيت والمدرسة والمجتمع والوسائل الاعلامية فيه التأثير البالغ في تنشئة الشباب وتربيته التربية المثلى التي بها يقدم لامته الخدمات ويحقق لها الآمال التي نمقدها عليه ..

وإذا استطعنا أن نفرس في نفوس الشباب حب الاطلاع والقراءة الدائبة فاننا سوف نتمكن من ايجاد الكتاب الذى ينمى معلوماته وسوف نضطر أيضا الى ايجاد المكتبة وتنويعها وتنسيقها والعمل على اثرائها بما يتفق وما يتطلبه الوضع الاجتماعى والوسط الذى تقع فيه هذه المكتبة ..

وبجانب ذلك كله سوف توجد لدينا الصحيفة والمجلة التى ترسى دعائم الفكر وأصول الثقافة التى تخدم الأمة والمجتمع ويتبع ذلك الاهتمام الكبير بمقومات

التراث وتأكيد الصلة بين هذه المقومات والنهضة مثل اللغة وازدهارها ودراستها في مراحلها التى مرت بها حتى وصلت الى الواقع الذى هم عليه بحيث يكون في اعتبار الشباب والباحثين الاجتماعيين ان اللغة وتدعيمها وتطوير جوانبها في ماضيها وحاضرهما من أهم الاعتبارات التى ينبغى أن تراعى في تنمية المجتمع وبمث نشاطه ذلك ان التصود بالتنمية الاجتماعية هو ايجاد الوعى السليم لتقدم المجتمع ونهضته ولا يمكن للمجتمع ان ينهض أو يتقدم اذا لم يكن له من عناصر النهضة ما يجعله مدفوعا الى المستقبل الذى يؤمن به وإيمانه بالمستقبل يقوم على عدة اعتبارات من أهمها تراثه وعقيدته التى يدين بها ولا يرى في الحياة لها بديلا ومن هنا جاءت أهمية اللغة وأهمية الدور الكبير الذى تستطيع ان تقوم به لان لغتنا العربية ليست وسيلة للتفاهم فقط بل هي مفتاح لمصدر العقيدة والتشريع والقرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة فضلا عن الآداب والفكر الذى سجل بها وكان لها الفضل العظيم في ابرازه وتخليده واضفاء صفة العالمية عليه ..

فالادب المكتوب باللغة الصحيحة الشيقة والفكر المسجل بالاساليب الرصينة من هذه اللغة يؤدىان الأدوار الفعالة في تنمية الأمة وتوعيتها وتقدمها ويساهمان في جميع الخطى التى يترسها المجتمع في مجالات الإصلاح والبناء والذى يؤكد هذه الحقيقة اننا نجد في مفتتح عصر النهضة الحديثة تلك الآراء الصائبة التى بعثت في الأمة الطموح والامل وحفزت الاجيال للعمل الدائب من أجل تحقيق هذا الامل وتطبيق تلك الآراء لانها كتبت بلغة حية تعبر عن آمال وطموح الأمة الامر الذى جعل من ذلك انتفاضة فكرية تعد حتى الآن نقطة انطلاق نحو الإصلاح والتحرر من التخلف ورواسبه مثل الآراء التى نادى بها جمال الدين الانغلى وتلاميذته الذين في مقدمتهم الامام محمد عبده ومحمد رضى ومن تتلمذ عليهم من اساطين الفكر والسياسة .

هذه نظرة شاملة لها اعتبار في المعنى الذى نهدف اليه من الدور الذى تؤديه الثقافة والاعلام في تنمية المجتمع ونود ان نرجع الى الواقع الذى يقوم عليه هيكل اجهزة الثقافة والاعلام .

فالثقافة تتمثل هيكلها التى تديرها في الإدارة وفى المراكز الثقافية وفى المكتبات العامة والاعلام يتمثل هيكله أيضا في الصحيفة والمجلة والاذاعة بنوعها الموسوع

ولكى نضمن التوعية الصحيحة للمجتمع ونجعل دور الاعلام والثقافة في تنميته سهلا وبمسرا يجب ان نعمل على تحقيق النقاط الآتية :

- (1) توصيل الكتاب وتيسيره لكل مواطن
- (2) تأكيد الصلة بين اجهزة الاعلام والثقافة .
- (3) ربط الاجهزة الثقافية والاعلامية بالاندية والمدارس ودور الرعاية وغيرها .
- (4) وضع البرنامج المدروس وتنفيذه لاجهزة الثقافة والاعلام وما يتصل بهما من الاندية والمدارس ودور الرعاية وغيرها .
- (5) تطعيم اجهزة الثقافة والاعلام وما يتصل بهما بالعناصر الادارية الكفوة .
- (6) ايجاد هذه الاجهزة وعناصرها التي تقودها عن الروتين والمركزية واعطاؤها الصلاحيات الكاملة للانطلاق والعمل .
- (7) فصل الثقافة عن الاعلام وتحديد مسار كل منهما وعدم الخلط بينهما .

هذه النقاط وما يتصل بها لو روعيت وعمل على تحقيقها فان تنمية المجتمع بمعنى توعيته والنهوض به ستكون محققة لا محالة وستعمل على بناء الامة وتحقيق آمالها وطموحها واما بقاء الوضع الراهن على ما هو عليه فانه لا يحقق الكثير من هذه الامل التي نعتمدها على الثقافة والاعلام ..

والشيء الذي نؤمن به ونعتقد انه الواقع هو ان الثقافة لا بد من ارساء دعائمها ولا بد من العمل على ازدهارها كي نصل الى الاهداف التي نريدها لهذه الامة ولهذا المجتمع الذي نميش بين اركانه وبهمة العاملين من ابناء الوطن سوف تتحقق كل امانينا وطموحنا المشرق الوضاء الذي نصبوا اليه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والمرئى وفي الادارة التى تدير ذلك كله والنظرة الشاملة لهذه الهياكل تدعونا الى التساؤل عن الصلة التى تربط هذه الهياكل بعضها ببعض حتى تجعل منها مصدرا للتوعية والالهام والتفتح الفكرى وازدهاره والواقع ان الصلة بين هذه الهياكل متوفرة فى الاطار الشكلى والروتين الادارى واما فيما ينبغى ان يكون فان ذلك يكاد يكون منعما وتأكيد الصلة بين هذه الهياكل وتنظيمها امر لا بد منه لتنمية المجتمع لان دور هذه الهياكل متى نقل الحقائق واماطة الفموض عنها امر لا يستطيع ان ينكره احد وهو الدور الذى يجب ان يكون موضع التقدير عند المفكرين والمنظمين لهذه الهياكل والمشرفين عليها والمضطلمين بها وهناك جانب مهم جدا ينبغى الا يغيب عن بالنا وهو تأكيد الصلة بين هذه الهياكل والقطاعات الاخرى مثل النوادى ودور الرعاية ومكتبات المدارس والجامعات حتى يتم التفاعل بين هذه المؤسسات والهياكل فى جو يسوده التنظيم والتنسيق ويقوم على اساسه التصور الدقيق لمفاهيم الثقافة ومفاهيم التوعية والاعلام الصحيح الذى يتوخى الحقائق ونقل الصورة الحية للمواطن .

ولا يفوتنا ايضا ان نضغط على البرنامج السدى ينبغى ان يوضع لها كى تستطيع ان تستوعب السدور الحقيقى لها وكلما كان هذا البرنامج مدروسا ومنسقا كلما كان تأثيرها فى بعث التوعية والتنمية الصحيحة للمجتمع كبيرا ولكن ضمان تنفيذ هذا البرنامج وما شابهه لا يكون الا اذا تحققت لدى هذه الهياكل القيادات الادارية الكفوة التى تقدر على الابتكار والاستيماب الثقافى ودوره فى تقدم الامة والمجتمع وهذا مع الاسف فى الوقت الحاضر غير متوفر فى كثير من هذه الهياكل ولذلك فان الدور الذى تقوم به فى تنمية المجتمع محدود وينبغى ان يؤخذ ذلك بعين الاعتبار ..

من هذا العرض السريع نستطيع ان نؤكد الدور الخطير الذى تقوم به الثقافة والاعلام فى تنمية المجتمع ونستطيع ان نقرر ان الثقافة هى المقدمة الطبيعية للاعلام حيث ان الاعلام هو المترجم للثقافة والناقل لها